الفصل الثاني

ما له للفتاة أن تعرف ...

انا لو سئلت عن السبب الاساسي لتأخر المرأة الشرقية لأجبت فوراً : هو الجهل .

ان الابنة الشرقية لا تتعرف الى نواحي الحياة كلها كما يتعرف اليها الشاب . حتى البيئات القليلة التي تأذن بتعليم الفتاة اكتفت ببعض الدروس المحشوة بالنظريات وتركت الابنة مغمّضة العينين عن حقائق الحياة العملية .

انه لمن الضرورة ان تتعلم الفتاة علوم الحساب والجغرافيا والفلسفة والتاريخ والشعر والفنون ، ولكن من الضرورة ايضاً ان تعرف شيئاً عن دورها في الحياة وما ينتظرها من واجبات ، وما يطرأ عليها من تغيرات ، ان في حالتها النفسية ، او في قواها الطبيعية ، او في علاقاتها وارتباطاتها الزوجية كي لا تصطدم يوماً بمفاجآت مزعجة قد تشكل

كابوساً شديد الوطأة على كيانها وعلى قواها الجسدية والعقلية.

أن التعاليم والثقافـــة الشرقية تحرم البنت من درس كيانها الطبيعي . وهذا الحرمان هو من باب حجب ناظريها عن كل ما له علاقة بحياتها السريّة والجنسية اعتقاداً ان التطورات الطبيعية والجنسية في الفتاة يجب ان تبقى مجهولة مهملة منها كي لا يؤدي الاهتمام بها الى إثارة رغبـــة الفتاة وتشوّقها .

هم يريدون المحافظة على العرض . وطريقتهم قائمة على طرح الفتاة في ظلمات الجهل . ولو عقلوا لأدركوا ان ما من خطرٍ على الاعراض كخطر الجهل .

نظرة الى الواقع ترينا ان الفتاة الجاهلة اقرب الى الارتماء في احضان الشر، والرذيلة من الفتـاة التي تفتحت عيناها عـــلى معالم الحيـاة وتطورات الجنس ومستلزمات الطوارىء التي تطرأ عليها كلما كبرت سنة بعد سنة . اذاً يجب على الفتاة ان تتعرف جيداً الى خصائص جنسها ، ويجب على اهلها ان يعرّفوها الفرق بينها وبين أخيها الفتى ، ويجب على معلماتها ان يبيّنّ لها حقيقة الحياة التي تنتظرها وكيفية استقبالها للمفاجآت التي تفاجئها فلا تشكل هذه صدمة عليها لدى ظهورها وموضوع حيرة لا تفهمها . فاذا تفهمت هذه

الامور ساعدها تفهمها على اجتناب ضررٍ هو اشد وقعاً عليها وعلى اهلها من أي خطرٍ يخافونه .

ان الفتاة يجب ان تعرف جسدها ومميزاتها وجميع ادوار حياتها فتسيّر نفسها في السبيل السويّ بدلاً من ان تترك للاقدار تسيّرها على غير هدى ولا معرفة .

الفتاة ، مهما كان عمرها ، تعرف كما يعرف الفتى ، ان الطبيعة اوجدت لها عيناً لتبصر ، وفماً لتأكل ، ولساناً لتتكلم ، واذناً لتسمع ، ومعدة لتهضم . فلماذا نريدها جاهلة وجود الرحم والمبيض والمهبل والغاية من وجود هذه الاعضاء في جسمها ؟ ولماذا تبقى هذه المعلومات سرّاً عنها فتفاجئها طوارئها وتترك فيها أثراً غير مرغوبٍ فيه ؟

قالت لي سيدة ذات يوم ان ابنتها البالغة اثنتي عشرة سنة نهضت من فراشها في الصباح مذعورة اذ رأت قميصها ملوثة ببقعة من الدم وكانت تشعر في المساء بألم خفيف في اسفل بطنها . ولما هرولت الى امها والخوف آخذٌ منها كل مأخذ ، بدأت الام تلفّق لها القول وتحاول ايهامها انه عارض لا يلبث ان يزول ، وقد يكون مسبباً عن عصفور تسلّل اليها وهي نائمة ونقدها في اعلى فخذها فأدماها . وقد حاولت الام ان تطمئن ابنتها بكلامٍ فيه كل التعاليل

والتفاسير ما عدا الحقيقة . هذه المرأة وغيرها الكثيرات حتى من الطبقات الاجتماعية المرموقة ، يوقدن اذهانهن لابتكار اغرب الاكاذيب لتمويه الحقيقة عن بناتهن في هذا الظرف . هؤلاء الامهات ، وقد فاتهن ان يعلّمن بناتهنّ ما سيحدث لهنّ يوماً من الايام ، يجب عليهنّ ان يفهمنهنّ عند ظهور الظاهرة ، ما هي او ما معناها ، ومن اين يأتي الدم ، وكيف يجب ان ينظر اليها . فبدلاً من ان تخدع الأم ابنتها بتلفيقها قصة العصفور الذي تسلّل ليلاً ونقدها في اعلى فخذها او غير ذلك من الاضاليل ، يجب ان تعرّفها ان هذه الظاهرة هي دلالة نموّ المبيض ونضوجه وبدء العمل التناسلي الذي يتوقف عليه مستقبل حياتها والذي لولاه لما كانت انثى بالمعنى الكامل ، وان الفتاة التي لا يحدث لها هذا الحدث المسمّى طمثاً او حيضاً هي شاذة او ذات عاهة خلقية ومحرومة من مميزات المرأة ولن تكون ابداً اما .

والامومة هي قبلة الفتاة وغاية غريزية في الطفلة . ألا تراها مع دميتها كيف تنصرف الى العناية بها متخذة منها ابنة هي امها الرؤوم ؟

انا لا اعرف معنى لابقاء كل ما هو داخل النطاق التناسلي سرّاً يجب اهماله وصرف النظر عنه وعدم البحث

به من قبل الفتاة .

تبلغ الابنة سنها العاشرة ، واحياناً تصل الى سن البلوغ ، وهي تجهل من اين اتت ، وكيف ولدت . واذا توسعت معارفها الى ان تدرك مهمة امها في ايجادها ، فهي تجهل مهمة ابيها . يتخوفون من عار العلم بالشيء ولا يخشون العار الذي ينشأ عن الجهل بالشيء . هو جهل فاضح ، بل هو جهل مجرم من الابوين وبالاخص من الام التي اهملت تعليم ابنتها ما يجب ان تفهمها اياه كي لا تصدمها الطوارىء فتؤثر في جسمها وفي نفسيتها بما لا ترغب هي فيه ولا ترغب لها فيه امها الجاهلة .

ثم تكبر الفتاة وتصل الى سن الخامسة عشرة مثلاً ، فتبدأ تشعر بتطور في طبيعتها وميولها ومحاسنها . تشعر بعوامل نفسية لم تكن تشعر بها من قبل ، وتعتريها قشعريرة اذا ما تحدثت الى الشبان ، وقد لا تستطيع تفسير هذه المشاعر فتخفيها عن امها وعن اقرب الناس اليها عن خجل وعيب — دائماً العيب — ولكن هذا الاخفاء لا يمنع توالي هذه الشواعر وتكرارها . والابنة ، الجاهلة المستحيية ، كثيراً ما تتورط في الاستسلام ، عن جهل ، الى مزالق تدفعها اليها هذه العوامل المتزايدة بتغرير ابناء الشر . أليس

من الافضل ان تتفهم الفتاة هذه المشاعر الداخليـة لتعرف كيف تتقي اخطارهـا ؟

ان الحقبة التي تمرّ بها الفتاة وهي في سنّ الثانية عشرة او الثالثة عشرة هي اهم حقبة في حياتهـا . والتغيير الذي يطرأ على جسمها وعـلى طبيعتها ذو تأثير عظيم على مجمـل كيانها .

لقد دخلت الفتاة في سن البلوغ او المراهقة . هي الآن انثى بالمعنى الأكمل . اكتمل تكوينهـا ، ونفر صدرها ، وتطورت نفسيتهـا ، وابتدأت تشعر بتبدلٍ في طبيعتهـا وشعورها . لم تعد طفلة تلهو وتلعب لا يهمها من الحياة إلا ما تتطلبه ميولها الولادية . ان في قرارة نفسهـا شعوراً وميولاً لم تكن تشعر بها من قبل . لقـد اصبحت خجولة تجاه رفيقها الشاب . وبالرغم من هذا الخجل هي تشعر برغبة خاصة بمعاشرته . وبينما كانت من قبل لا يهمها تقديره ولا تؤخذ بتوددِه اصبحت الآن وكل همها ان تحل منه محل الاعجاب . فاذا شعرت بذلك ارتاحت واطمأنت . هي تريد ان تكون جميلة ، فاتنة ، مزينـة بمعالم الانوثة الجذابة . وبالاختصار فانها تطورت من فتاة لعوب الى شابة تجلّلهـا نضارة الشباب وتزينها الجاذبية الجنسية .

الشباب حياة ونور ومحبة، والفتاة في طورها الجديد تثق بنفسها وتفرح بشبابها وتحيا في قدسية صباها .

فهل يجوز ان تترك الفتاة ، وهي تجتاز هذه المرحلة الهامّة ، جاهلة نفسيتها ، مغمضة العينين عن تطورات طبيعتها وغريزتها ؟ انتركها جاهلة أنها فتاة حتى اذا دهمتها نحن الشباب وتجاربه لا تقوى على دفع ما ينتج عن ذلك من الرزايا والمصائب وهي كثيرة قاتلة ؟

يقول المتعصبون الرجعيون ان البنت عندما تصل الى دور الفتوة يجب ان تلزم بيتها حتى اذا خرجت منه الى المدرسة مثلاً يجب ان تكون مرفقة بمن يحرسها ، وذلك لاتقاء الانزلاق في مزالق الشباب .

ويقول المجدّدون ان على اهل الفتاة ان يعلموها ما سيحل بها من التطورات وما سيفاجئها من المفاجآت الطبيعية ، وما ينتج عنها من تغيرات في نفسيتها ، وما يتوجب عليها من الاهتمام بكل هذه الحالات ، وما يجب ان تستفيد منه وما يجب ان تحذره .

يعني ان الفئة الاولى تقول بوضع حارس يحرس الفتاة . والفئة الثانية تقول بتدريب الفتاة وتأهيلها لتكون

حارسة نفسها .

ولعمري ما من حارس يستطيع ان يقوم على حراسة الابنة كنفسها متى كانت هي ذات علم صحيح يخوّلها تحكيم قواها العقلية والادراكية في جميع اعمالها وتصرفاتها .

يجب على المدرسة ، بعد البيت ، ان تقوم بهذا الواجب ، فيكون في برنامجها فرع للتعليم النفسي والطبيعي والجنسي . ان هذا التعليم يربي في الفتاة قوى الادراك وتحمّل المسؤوليات ويوفر لها المؤهلات اللازمة لمعرفة طريقة سيرها في الحياة . ان الفتاة يجب ان تعرف هي نفسها كيف تختار زوجها . ولعمري هي مشكلة كبرى في شرقنا ، مشكلة اختيار الزوج . ولعلّ معظم التعاسة الزوجية والعائلية مسبب عن هذا النقص .

ان الزوج يجب ان يختاره العقل ، ويحبه القلب . فكيف يكون اختيار الفتاة لزوجها العتيد اذا كان عقلها لا يقوى على تفهم الامر بالحكمة والدرس والادراك ، وكيف يكون الزواج اذا كان القلب ، بِطَيْشِه ، هو دليله الوحيد ؟

يجب على المدرسة ان تعلم الفتاة كيف تنظر الى

الشاب ، وكيف يجب ان تعاشره بحيث تكون معاشرتها واسطة لنيلها الحظوات دون ان تكون سبباً لجرّها الى ما لا تحمد عقباه . ان الفتاة تستطيع معاشرة الشبان بل يجب ان تعاشرهم . غير ان هذه المعاشرة يجب ان تكون في طريق سويّ يحبب المتعاشرين بعضهم ببعض دون ان يكون من ورائها ضيم لأحد .

ليس من الضرورة ان لا تعاشر الفتاة إلا الشاب الذي ستتخذه خطيباً او زوجاً . فلكل معاشرة حدّ وآداب تعرفها الفتاة ويعرفها الشاب متى كانت هي وكان هو عارفين قوانين المعاشرة وآدابها . وهذه القوانين والآداب يجب ان تتلقاها الابنة في مدرستها والشاب في مدرسته .

ان البرامج المدرسية ناقصة جداً من هذه الجهة . ولا اعني مدارس البنات فقط بل مدارس الفتيان ايضاً . فلا يجوز ان يجتاز الفتى والفتاة مرحلة البلوغ قبل ان يعرف كل منهما التطورات الطبيعية والجنسية التي تنتابه في اثنائها والواجبات التي تتطلبها وظائفها ، والخطوات التي تأتي عنها ، والمضرّات التي تنتج عن اساءة استعمالها .

ان في العالم المتمدن تطوراً مرموقاً في برامج التعليم في هذه الناحية . وقد بدأت المدارس تهتم لها . ففي الولايات

المتحدة اكثر من نصف المدارس ادخلت في برامجها فرعاً خاصاً لهذه الدروس . والنتائج الحسنة التي اعطتها في الحياة الاجتماعية والزوجية والعائلية كانت مشجعاً عظيماً على مواصلة هذا التحسين .

وقد قرأت رسالة بعثت بها فتاة اميركية في المدرسة الى صديقة لها تسديها فيها نصائحها . وقد كتبت الفتاة رسالتها في الامتحان السنوي ونالت عليها جائزة التفوق ، قالت :

« انظري الى الرجال بعقلك لا بقلبك فقط . كوني حذرة في معاشرتك ، دون ان تكوني جافّة متعجرفة ، وليكن هدفك من المعاشرة اللذاذات العقلية والروحية لا اللذاذات الطبيعية وحسب . لا تحصري معاشرتك بشخصٍ واحد ، بل ادرسي كل من تعاشرين من الشبان ، وافهمي مزاياهم كلها . ادرسي عقلية الشاب ومدى تفهمه للحياة . ادرسيه اذا كان غيوراً ، اذا كان اميناً ، اذا كان كريماً او بخيلاً ، اذا كان شجاعاً او جباناً ، اذا كان صادقاً ..»

« كوني ذات جاذبية دون ان تكوني متبرجة . ليحبّك الشبان ، ليس فقط لجاذبيتك الجنسية بل لجاذبيتك الروحية أيضاً . ان الرجل يستطيع ان يجد لذاذات الجنس اينما

كان ، ولكنه لا يجد دائماً رفيقة عاقلة ذكية مدركة . »

« لا تهزلي في المعاشرة والحب . اكثر الرجال انانيون يطلبون الاستفادة من مسلكك . »

« كوني فرحة وقت الفرح ، محدّثة وقت البحث ، سريعة الفهم ، قوية الايمان والثقة بنفسك ، فيحبّك الشبان ، ويقدرك الرجال ، ويفخر بك خطيبك وزوجك . »

ان فتاة تكتب رسالة كهذه ، وتفهم الحياة بعقلية تملي عليها هذه النصائح ، لجديرة بثقة المجتمع . هي فتاة تستأهل حرية يخوّلها اياها ادراكها الواسع وعلمها الصحيح وآدابها الموفورة الكاملة .